

## جدلية العقل والإيمان

رامي سمير أبو نفاع<sup>1</sup>، سلمان فضيل الببور<sup>2</sup>

### ملخص

يحاول هذا البحث أن يبيّن طبيعة العلاقة الجدلية (الديالكتيكية) بين مفهومي العقل والإيمان، انطلاقاً من بيان العلاقة العضوية والبنويّة بينهما بالاعتماد على ثلاثة محاور هي: من حيث صلتها بالذات الإنسانية، والنص المقدس، وفلسفة الدين؛ فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي يمارس فعل التعقل وفعل الإيمان، وأنّ التعقل والإيمان يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بهذا الموجود العاقل، وهذا يُؤكّد على امتزاج القول الإيمان بالقول العقلي منذ بدايات الوجود الإنساني، ولا شك أنّهما مرّتا بمراحل بدائية حتى تطورا بفعل تراكم الخبرات الإنسانية والتجارب الحضارية ليتشكلا بصورتها التي وصلت إلينا، فهما إذن وليداً عصرهما ومعطيات زمانهما، ويقصر البحث في النص المقدس على النص الإسلامي والمسيحي، إذ يتبين كيف حتّ النص على استخدام العقل وأكّد أهميته في النظر في النص، ولهذا فإن كل المؤمنين لم ينكروا محورّية العقل وأثر علاقته بالإيمان، وفي مجال فلسفة الدين يتبين كيف أن الفلسفة تقوم على العقل، والدين يقوم على الإيمان، وكان التفاعل في هذا الحقل المعرفي يمتاز بالمرآحة الدائمة بين مفاهيم الإيمان ومفاهيم العقل. وفي النهاية، ويهدف هذا البحث إلى الخروج من النظرة التقليدية تجاه المعارف العقلية والإيمانية، بحيث نتجاوز القناعات المسبقة أو الجزم المطلق بانفصال هذه المعارف عن بعضها بعضاً، وما يرتبط بذلك من إعادة تأويل وفهم وإعادة بناء للأطر المعرفية التي تُشكّل هذا الموقف.

الكلمات الدالة: فلسفة، عقل، إيمان، جدلية، إنسان.

### المقدمة

انطلاقاً من الإطار الذي موضع هذا المُفكر أو ذلك نفسه فيه، وبهذا يكون من الممكن إعادة تشكيل المعرفة والوعي وفقاً للموقف أو للفهم الجديد الذي يراد له أن يتشكل، والإفادة منه في تأسيس أنساق معرفية مواكبة لعصرها ومستجيبة لتحدياته وطروحاته.

لقد وجد الدين ضالته في العقل، ليقدّم من خلاله إجابات على الأسئلة التي وجهت إلى مفاهيم الإيمان والتحديات التي واجهته، وهنا يمكن لنا أن نتأمل أثر الظروف المختلفة سواء الفكرية أو الاجتماعية أو السياسية على الأنساق الفكرية السائدة في زمن أو عصر معين، وكيف يتم تعديل هذه الأنساق في العصر الذي يليه، ليحدث التقدم الفكري والحضاري، ذلك أن أي تعديل يهدف إلى تطوير وتخطي المعطى في عصره.

ومن التطورات التي يمكن أخذها بالاعتبار، التثاقف عن

إن العلاقة بين العقل والإيمان علاقة عضوية ومتداخلة على أكثر من صعيد، وفي هذه الورقة سيتم تتبع العلاقة بينهما على ثلاثة أصعدة، من حيث علاقتهما بالذات الإنسانية، والنص المقدس، والفلسفة والدين، وسيهم ذلك في إدراك عمق وتجذر الارتباط بين المفهومين في فهم وتأويل المعارف التي بُنيت على أساسهما. ومن ثم الخروج من النظرة التقليدية أو الأطر المعرفية الجاهزة، والتي كانت سبباً في عدم دقة الأنساق الفكرية، المستندة إلى الاعتقاد المسبق بفهمها

1طالب دكتوراه في الفلسفة/ الجامعة الأردنية.

2أستاذ شرف في قسم الفلسفة/ الجامعة الأردنية.

تاريخ استلام البحث 2018/10/31 وتاريخ قبوله 2019/4/25.

الفلسفة في خدمة اللاهوت وعلم الكلام زماناً، ثم بات الإيمان العاقل أو الإيمان المقرون بالعقل خيراً من الإيمان الساذج، وبهذا لم تعد العلاقة علاقة سيد بخادم، بل باتت علاقة تبادلية لا بل ندية.

#### أولاً: الذات الإنسانية.

لا يمكن الحديث عن العقل والإيمان بمعزل عن الذات الإنسانية، فالإيمان سلوك معرفي إنساني بامتياز، ينفرد به الإنسان عن كل ما سواه من الموجودات، ويذهب شوبنهاور (Schopenhauer) (ت:1860) إلى تعريف الإنسان بأنه "حيوانٌ ميتافيزيقي" فالحس الإيماني وما يرافقه من سلوكيات (طقوس) فردية أو جمعية، هو حكر على الإنسان، إذ لا بل إنهما مما يميز الذات الإنسانية عن أي ذات أخرى، ولذلك لا يمكن الحديث عنهما إلا من حيث ارتباطهما بالإنسان على الصعيد الفردي والجمعي على السواء (Barbotin, Edmond, (1973), faith for today, p33)

وإن هذا الارتباط يبدو واضحاً اليوم في العمليات العقلية التي هي غاية في التعقيد، ويتم التعبير عنها من خلال العلوم المختلفة والاختراعات المتعددة، أو من خلال مظاهر دينية ترافق السلوك الإيماني ويُعبر عنها بطقوس وشعائر غاية في التنظيم، بل كانت هذه العلاقة يوم كان الإنسان الأول قد عبر عن هذه العلاقة بين العقل والإيمان من خلال طقوسه "البدائية" سواء جاءت بصورة السحر أو الأسطورة، التي كانت تشكل معارف العصر واعتبرت خطوة في طريق التطور الفكري الإنساني، ودرجة مهمة في سلم التقدم الحضاري؛ لأن هذه السلوكيات كانت النواة التي شكلت السحر والدين البدائيين والذين تطوروا في مرحلة أخرى فشكلا العلم والدين بالمعنى الذي نفهمه اليوم (فريزر، (2014)، الغصن الذهبي، ص77). وبالنظر للمستقبل يبدو جلياً أن التناغم الداخلي للإنسان، لا يمكن أن يتحقق إلا بالانسجام والتناغم بين العقل والإيمان دون تجاوز أحدهما عن الآخر.

وهناك اعتقاد، بأن العلم يقوم على العقل والدين يقوم على الإيمان، وكأن لا إيمان مع العقل أو لا عقل مع الإيمان، لقد قدم جيمس فريزر (James Frazer) (ت: 1941) دراسة عميقة في تاريخ السحر والدين، ورصد تطور السلوكيات الإنسانية عند القبائل البدائية وكيفية تطورها وانعكاسها على

طريق الترجمة، لقد كانت بداية الفلسفة العربية الإسلامية تعتمد على ترجمة أمهات الكتب اليونانية الفلسفية، مع كل ما رافق هذه العملية من صعوبات وتحديات، وما أفرزته بعد ذلك من أثر على الفكر والفلسفة كان له الدور الأساس في تشكيلها على الشكل الذي كانت عليه.

ثم أصبحت الفلسفة العربية الإسلامية بعد ذلك، هي التي تمت ترجمتها للاتينية التي كان لها الدور في إعادة إحياء الفكر والفلسفة الغربية مرة أخرى، وفق شروط وضوابط جديدة تتناسب مع أسئلة وتحديات العصر، وكان لترجمة كتب أرسطو \_ والذي، بالمناسبة، فاق حظه وحضوره في الفلسفة المسيحية عنه في الفلسفة الإسلامية \_ لدور الأكبر لتحويل الفكر في المسيحية من الاعتماد على الفكر والمنهج الأفلاطوني إلى الأرسطي.

وسبق ذلك ظهور الفرق المسيحية، حالها كحال الفرق الإسلامية في مرحلة لاحقة حيث شكل السؤال حول العقائد مثل التثليث والتجسيد والخطيئة الأصلية وغيرها، سواء عند المؤمنين أو غير المؤمنين سبباً لظهور هذه الفرق وسواء سميت هذه فرقاً أو مذاهباً أو حتى هرطقات، فإننا لسنا بصدد بحثها لاهوتياً بقدر ما هي للإشارة إلى تنوع المناخ الفكري والمذهبي، وضرورة إعمال العقل في النص المقدس سواء لفهمه أو شرحه للمؤمنين أو لتقديمه لغير المؤمنين والإجابة عن تساؤلاتهم.

ومن الواضح أيضاً، أن الفلسفة كان لها وقعٌ وثقلٌ باعتبارها تسعى لليقين وتطلب الحقيقة المبرهن عليها بالعقل والاستدلال، وتترك الأساطير وما فيها من أفكار لا تستند إلى أي دليل، حتى باتت للفلسفة الصدارة على غيرها، ومن ثم وكننتيجة لمذهب الشك الذي فرض نفسه في الفلسفة، سواء قديماً أو حديثاً، فإن هذا المذهب جعل الإنسان الذي يصبو للحقيقة ويبتغيها، يسعى للنظر في الوحي الإلهي، وهو ما نجده في المسيحية والإسلام وِفِرَق أخرى من الديانات غير السماوية مثل البراهمة في الهند ومجوس الفرس وغيرهم (فراج، (1969) معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى، ص84).

وهذه المراوحة بين الفلسفة والدين هي من سمات الحديث عن العلاقة بين العقل والإيمان والبحث فيهما، فلقد كانت

أحياناً باعتباره دليلاً على صعوبة إقحام الفلسفة في الدين، ولكن بالنظر إلى الموضوعات التي يعنى الدين بها، نرى أن - الفلسفة عنيت بها- أيضاً، وهو الأمر الذي طرحه علماء كلام وفلاسفة مسلمون وكذلك فلاسفة مسيحيون ورجال دين من حيث أن الدين والفلسفة كلاهما يقوم على فكرة الخلاص وغيرها من الأفكار التي ترتبط بالإنسان كالسعادة والعدالة وغيرها.

"لقد كان للدين أثر على المسائل المشتركة بينه وبين الفلسفة، كما كان للفلسفة أثر على المسائل الدينية البحتة" (كرم، 2016)، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص8). لكن العديد من الفلاسفة ورجال الدين اتخذوا موقفاً يقوم أساساً على خصوصية مواضيع الدين مقابل خصوصية مواضيع الفلسفة، ومن هنا نرى مدخلاً لبحث قضايا الدين من خلال نصوصه، ومن ثم العلاقة بين الفلسفة والدين لاحقاً.

#### ثانياً: النص المقدس

من المناسب توضيح المقصود بمصطلح العقل ومصطلح الإيمان سواء على الصعيد اللغوي أو الاصطلاحي، ليتسنى بعد ذلك الوقوف على المعنى المتضمن في آيات النص المقدس.

العقل لغة: مصدر من عقلَ يَعْقِلُ مَعْقُولاً جمعه عَقُولٌ، ورجل عاقل هو الجامع لأمره ورأيه.

وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، ويقال عقل الرجل إذا كف نفسه وشدها عن المعاصي. (ابن منظور، 1993)، لسان العرب، ج9، ص327) وللعقل في اللغة عدة معاني، ومنها: التثبت في الأمور والإمساك والامتناع والحبس، وهذه هي المعاني اللغوية الرئيسية التي تكاد تُجمع عليها كُتُب اللغة حول العقل.

وأما في النص المقدس فهناك آيات تدل على هذه المعاني، والدلالة هنا يحكمها السياق وبالتالي لا يجوز قصر معنى العقل على معنى واحد دون غيره، وإن ما تقدم من معاني للعقل إنما يكون بحسب استخداماتها، ولم تُسقط على العقل حتى يكون ملائماً لتفسير معين لآيات النص المقدس. وإن معاني العقل لغة هي معاني للعقل بحسب استخدامه وهي معاني سابقة على النص المقدس وما فيه من آيات تستخدم مصطلح أو مفهوم العقل بمعاني متعددة.

مجتمعاتنا اليوم وحضورها داخل منظومة العلم ومنظومة الدين. فبمقدار ما يعرف الإنسان الحقيقة والعالم، يعرف ذاته في فرادتها. ويرى فريزر أن هذه المعرفة للحقيقة لها عدة سُبل مختلفة. فالدين إحدى سُبلها، والفلسفة كذلك. (فريزر، 2014)، الغصن الذهبي، ص7)

ويقود هذا إلى التأمل في أصل الأفكار، من حيث تطورها والسلوكيات المبنية عليها تدريجياً عبر مئات السنين حتى تشكلت ضمن منظومة ومنهجية دقيقة تُعرف بالعلم أو ضمن شعائر وطقوس ونسقي يُعرف بالدين، وقد بدأ تشكلها معاً، ولم يكن بينهما انفصال، وأنها تزامنا مع وجود الذات الإنسانية وانطلاقاً منها والأهم من ذلك أنهما كانا يسعيان لخدمة هذه الذات وحمايتها سواء مما يواجهها من تحديات منظورة أو استمالة وكسب عطف قوى ميتافيزيقية غير منظورة. (Besch, Tilmann, (1900), the Christian philosophy of life, p46)

وإن القول بأولوية العقل على الإيمان، أو أولوية الإيمان على العقل، يقود للاعتقاد بأنه لا يمكن التوفيق بينهما، من حيث إنهما لا يجتمعان؛ لأن هكذا اعتقاد إلى أن وجود أحدهما يُلغي الآخر، إذ إن الذات الإنسانية إما أن تتخذ من العقل أو من الإيمان إطاراً مرجعياً، وبالمثل فإن المواضيع التي تخضع للعقل وإعماله ليست مطروحة أمام الإيمان كموضوعٍ يمكن له البحث فيه، أي أن للعقل ميدانه وللإيمان ميدانه، ولهذا فإن الإنسان إذا اعتمد على العقل في بناء منظومته المعرفية فإنه يتبنى نمطاً معيناً من التفكير والاعتقاد يختلف عن نسق التفكير والاعتقاد التي بينها المؤمن على منظومته المعرفية الخاصة به، ولما كان الإنسان يحتكم في سلوكه إلى إطار مرجعي ولتفسير ذلك فإن التوسل بالعقل وحده لا يكفي، ذلك أن الفعل الإنساني يرتبط بالعديد من الدوافع والميول التي تحده وترسم طبيعته أو توجهه، وهنا يجب التركيز على أن البناء العقلي أو المعرفي المحض، ليس كافياً لبناء السلوك أو توجيه الفعل الإنساني، فالإنسان يقترب ويبتعد عن الأشياء انطلاقاً من رغباته وما يحب وما يكره، ومن الصعب التنبؤ بسلوكه بسبب تلك الشبكة المعقدة من العلاقات بين أحكامه العقلية وميوله الشعورية أو العاطفية. ولكن هذا التعارض بين العقل والإيمان يُصاغ أو يُقدم

هو لتأكيد محورية مفهوم العقل في النص القرآني، إذ ميز الله الإنسان بالعقل: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" (الإسراء - آية 70). ووجوب إعماله للتفكير والتدبر في شؤون الإيمان وفي شؤون الدنيا، بل وتفكر الإنسان في ذاته، حتى بات إعمال العقل واجباً دينياً، وفيه إعلاء لشأن العقل لدى المؤمن وتأكيد أهميته، فالدعوة للنظر في خلق السماوات، واختلاف الليل والنهار، ودوران الكواكب وغيرها دلائل عقلية على وجود الله، إذ يقول الله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" (أل عمران - آية 190).

ولنا في قضيتي التنزيه والتجسيد اللتين وجدنا من يُدافع عنهما مثال ملائم لإعمال العقل في النص الديني وتجاوز الدلالة الحرفية في بعض الآيات التي اعتمد عليها المنزهة مثل: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى - 11)، أو المجسدة مثل "وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" (الرحمان - 27) إذ لم يكن بالإمكان التطرق لمثل هذه القضايا وغيرها من قضايا علم الكلام الإسلامي أو اللاهوت المسيحي، دون الاتكاء على النص المقدس. وقد كان ذلك سبب اختلاف مواقف الفرق الإسلامية من قدرية وجبرية أو مجسدة ومشبهة أو معتزلة أو غيرها تجاه مسائل علم الكلام، ولكل هذه الفرق مفكروها الذين كانوا قد أعمالوا العقل في النص المقدس وتأويله.

وفي الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، قد لا ترد لفظة عقل بشكل مباشر، بل جاء متوارياً في تجلياته المتمثلة بالكلام والفعل النابع عن العقل وإعماله، فالحديث عن أفكار القلب يقصد بها العقل أحياناً ومثال ذلك: "جِرائة الشجر تظهر من ثمرها، كذلك تفكر قلب الإنسان يظهر من كلامه" (يشوع بن سيراخ - 27: 7). ونلاحظ إدراك المسيحية لمحورية الفكر الذي هو نتاج العقل ومدى تأثيره على الفعل وارتباطه به: "الْمُنْتَكِرُ فِي عَمَلِ الشَّرِّ يُدْعَى مُفْسِداً" (أمثال - 24: 8). ونلاحظ أن هناك تماهي إلى حد ما بين العقل والقلب، إذ يصدر منهما فكر الإنسان وفعله، ويقدم ذاته وجوهه من خلالهما، "فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟»" (متى - 9: 4). ونورد عن العلاقة بين العقل

وأما اصطلاحاً فيُعرف العقل باعتباره القوة المتهيئة لقبول العلم. (الفيروز آبادي، (1996)، بصائر ذوي التمييز، الجزء 4، ص 85) واعتبر لعنصر الأساس في الفعل المعرفي البشري، كما عرف العقل بأنه: "تور في اللب يعرف الحق والباطل" (الجرجاني، (1983) التعريفات، ص 173). وهناك من جعل العقل: "غريزة وضعها الله في أكثر خلقه" (المحاسبي، (1971) العقل وفهم القرآن، ص 201). ولم يكن المحاسبي وحده من عد العقل غريزة فقد ذهب ابن تيمية (ت: 1328م/ 728هـ) إلى ذلك أيضاً (ابن تيمية، (1995) بغية المرتاد، ص 260-263). وقد ذكر ذلك في أكثر من موضع، وذهب فريق آخر إلى القول بأن للعقل اصطلاحاً أربعة معانٍ هي: أولاً الغريزة المدركة والمعنى الثاني العلوم الضرورية أو البديهيات التي يتفق عليها جميع العقلاء، والمعنى الثالث العلوم النظرية التي تحصل بالنظر والاستدلال، والمعنى الرابع العمل بمقتضى العلم. وقد ورد عن الأصمعي قوله: "العقل: الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن" (ابن سده، (ت: 1066م/ 458هـ)، (1996)، المخصص، مجلد 1، ص 16).

وبهذا فإن للعقل بحسب المعنى الاصطلاحي تعريفاً اجرائياً أو إن جاز التعبير تعريفاً عملياً. وقد ورد العقل في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وحمل أكثر من معنى يرتبط جلها في الفهم والتفكير والتدبر والانتفاع بما يدل على فعل الإدراك والتفكير والفهم، ومن ثم الأخذ بالأسباب والتدبر مثل قوله تعالى: "كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (البقرة - آية 242). وقد ورد أيضاً بمعنى - الفهم والانتفاع مثل قوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف - آية 2).

وفي المقابل أخذ النص المقدس على غير المفكرين حيث قال: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" (البقرة - آية 171). وميز المتعقلين والمتفكرين بقوله: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ" (العنكبوت - آية 43). وهنا جاء فعل التعقل بمعنى الفهم الذي يمتاز به العلماء الراسخون في علمهم.

وإن انتقاء ما سبق من آيات في النص المقدس الإسلامي

والإنسان؟ وما وجه الشبه بين الإنسان والله في الصفات؟ وهذا التساؤل أدى إلى طرح أحد أهم الأسئلة على الإطلاق، وهو هل الإنسان حر؟ وكيف تنتظم حرية الإنسان مع علم الله وإرادته؟ وكل ذلك في إطار العلاقة بين النص المقدس والعقل؟

وقد ذهب أحد المفكرين إلى القول أن: "الحركة الفكرية الدينية التي تجلت في اللاهوت الأرثوذكسي والكلام الإسلامي في وقت واحد يكاد يكون واحداً" (اليازجي، 1984)، يوحنا الدمشقي آراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام، ص 91. ومما يؤكد الترابط الإبيستمولوجي في البناء النظري القائم على التعقل بين المسيحية والإسلام.

### ثالثاً: الفلسفة والدين

كثيراً ما يكون السؤال حول علاقة الفلسفة بالدين سؤالاً إشكالياً ومثيراً للجدل، وبرأيي فإن هذا أمرٌ طبيعي، فالسؤال الفلسفي وكذلك السؤال الديني كلاهما سؤال إشكالي ومثير للجدل، فكيف إذا ما اجتمعا حول قضية واحدة؟

ولقد ساد اعتقاد أن ربط الفلسفة بالدين يؤدي إلى تشويه الدين، ويقال أيضاً بأن البحث الفلسفي في موضوعات الدين يُعد خروجاً للفلسفة عن دورها ونطاق بحثها، وكأننا نستطيع من حيث المبدأ الاتفاق على تعريف جامع ومانع نحدد من خلاله دور الفلسفة ونطاق عملها والدين ونطاق عمله. فالدارس والباحث في الفلسفة يدرك تماماً مدى اتساع دورها ودائرة اهتماماتها، فهي ترتبط بعلاقات متبادلة مع كل الحقول المعرفية، وهذه العلاقات الوثيقة لا تقتصر على الجانب المعرفي، بل والجانب الوجودي والأخلاقي.

وبالرغم من الالتقاء بين الفلسفة والدين على صعيد السؤال، حول قضايا من قبيل الخلود والحرية وأصل الإنسان وعلاقته بالله، إلا أنهما لا يلتقيان تماماً على صعيد الإجابة ومقدار الطمأنينة تجاه الجواب، فالدين يبعث السكينة لإجاباته النهائية في حين أن الفلسفة تبحث دائماً عن أجوبة لأسئلة تولد أسئلة، كما أنها لا يلتقيان على صعيد المنهج المتبع في البحث. (أنظر ميد، 1975)، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ص 34-35).

وسيتيم في هذا المقام معالجة مشكلة المنهج بين الفلسفة والدين، إذ إن الدين عقيدة موحا تقتضي الإيمان، مقابل

والكلام، "لأنَّهُ إِنْ كُنْتُ أَصَلَى بِلِسَانٍ، فَرُوجِي تُصَلِّي، وَأَمَّا ذِهْنِي فَهُوَ بِلَا نَمَرٍ" (1كور14: 13-14). كذلك "قَلْبُ الْحَكِيمِ يُرِيدُ فَمَهُ وَيَزِيدُ شَفَتَيْهِ عِلْمًا" (أمثال16: 23). وكيف أن أعمال العقل والتفكير في الله وَكُتِبَ أَمَامَهُ سِفْرٌ تَذَكَّرَةٌ لِلَّذِينَ اتَّقُوا الرَّبَّ وَلِلْمُفَكِّرِينَ فِي اسْمِهِ (ملاخي-3: 16)

ويبدو واضحاً من التعريفات أن النص المقدس الإسلامي والمسيحي لا يعول على العقل في جانبه "النظري" فقط أي الإدراك والنظر، بل يدعو للإفادة من العقل في الجانب "العملي" أي الممارسة والتطبيق، وهذا التطبيق يكون على عدة مستويات عملية منها علاقة الإنسان مع الله، وعلاقته مع الآخرين أي المجتمع الذي يعيش فيه ويتفاعل مع أفراد، ثم إن هذا العقل في جانبه "العملي" يتم إعماله في النص المقدس لفهمه وإدراك معانيه وتأويله بما يفعله ويفيده مما يفترض أنه موضوع للإيمان، وبهذا يمكن القول إن الإيمان يستدعي العقل ويؤكد أهميته من الجانب النظري التأسيسي وفي الجانب العملي مما جعل الإيمان نفسه موضوعاً لإعمال العقل، ليصبح التأويل مطلباً ضرورياً لفهم النص المقدس، ومع أن النص ثابت إلا أنه كان لا بد من تفسيره بما يساير كل عصر وما فيه من تغيرات.

ومع اختلاف مواضيع الإيمان سواء في الدين الواحد أو بين الأديان المختلفة، فلكذلك نتائج إعمال العقل في النص المقدس مختلفة أيضاً، وهناك من يرى أن إعمال العقل في النص المقدس يؤدي إلى فهمه والوقوف على مراميه بشكل أفضل لا بل وتقديمه لغير المؤمنين والدفاع عنه، وهو ما عبر عنه توما الأكويني Thomas Aquinas (ت:1274م/673هـ)، في كتابه: "الخلاصة اللاهوتية والخلاصة ضد الأمم. وفي المقابل نجد أوغسطين Augustin (ت:430م). ويقدم التجربة الإيمانية أو الإشرافية التي لا ترفض العقل لكنها تتجاوزها إلى معطى لا يخضع لإدراك العقل.

ولقد اختلفت المواقف والإجابات على الأسئلة نفسها سواء في الإسلام أو المسيحية مما أدى إلى نشوء الفرق في المسيحية والفرق الكلامية في الإسلام، وكلها ناقشت أسئلة حول وجود الله، والأدلة على هذا الوجود، وما صفات الله؟ وما علاقة هذه الصفات بالذات؟ وما العلاقة بين الله

المفاهيم الدينية وطروحاته في اللاهوت المسيحي بتأثير كبير من الأفلاطونية، وبقي تأثيره على الفكر والفلسفة المسيحية إلى أن تم اطلاق الغرب على ترجمة الفلسفة الأرسطية وتحول على أثر ذلك الفلاسفة المسيحيين من الأفلاطونية إلى قبول الأرسطية في القرن الثاني عشر والثالث عشر، وكان من أبرز هؤلاء القديس توما الأكويني (كرم، 2016)، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى، ص 16-18). وهذا التحول كان نتيجة التفاعل الطبيعي بين الفيلسوف ومستجدات عصره وطروحاته الجديدة وهو ما عبر عنه الدكتور زكريا إبراهيم قال أنه لا يمكن: "عزل آراء الفلاسفة وأفكارهم ومذاهبهم عن جوهر الروحي، وبيئتهم الأخلاقية، ووسطهم الاجتماعي". (إبراهيم، 1971)، مشكلة الفلسفة، ص 134).

وأما في الإسلام فكان لترجمة الفلسفة اليونانية أثر كبير عليها لا بل وفي اللغة العربية، إذ لم يكن في كثير من الأحيان في اللغة العربية ما يقابل المعنى أو الكلمة اليونانية، وهنا كان لا بد من نحت كلمات جديدة تُلبى الحاجة المرجوة منها خاصة وأن المعارف والعلوم التي تمت ترجمتها وعلى رأسها الفلسفة لم تكن موضوع بحثٍ في المجتمع العربي قبل أعمال الترجمة، وعلى صعيد مختلف كان على المسلمين الذين شاركوا في المعارك والحروب والذين التقوا بشعوب مختلفة تحديات جمة، وتحديات في كيفية طرح أو تقديم الإسلام ومدى إمكانية الدفاع عنه وعن مبادئه، ولاسيما وأن هذه الشعوب لم تكن بلا دين أو فكر ولهذا لم يكن من السهولة بمكان حثهم على الإسلام مما فرض على المسلمين ليس فقط الدعوة للدين الجديد بل الدفاع عن الإسلام أمام حججهم وأسئلتهم

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى تقديم المفاهيم الإيمانية ضمن قوالب عقلية بحيث يمكن أن تُقدم إلى غير المسلمين، وفي سعي المسلمين للقيام بذلك، أي تقديم موضوعات الإيمان في قالب عقلي نشأ علم الكلام وما يرتبط به من أسئلة ذات علاقة بالبحث اللاهوتي حول الله وصفاته، وبالطبع ليس هذا هو السبب الوحيد أو الدافع وراء قيام علم الكلام فقد كان للتطور الحضاري والانفتاح الثقافي وما رافقه من تطور في الحياة والثقافة والعلوم الإسلامية بشكل عام دورٌ في نشأته، وكانت الحاجة للوقوف على فهم واضح للآيات القرآنية دور أيضاً. وما يهمنا في هذا

الفلسفة التي هي نظر عقلي يعتمد على البرهان (كرم، 2016)، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص 16). فعلوم المنطق والطبيعات والرياضيات لا محل لمنهج الإيمان فيها، وإن المعجزات والعقائد بمعزل عن سلطان العقل. إن الحديث هنا ليس عن تعارض، بل عن اختلاف في وجهات النظر، يقوم على تباين بين نظامين أو منهجين مختلفين، وإن أمكن التوفيق بينهما فلا ضير، وإن لم يكن ذلك ممكناً فلا بأس، لأننا أمام نظامين متميزين وليس أمام تضاد (بدوي، 1962)، فلسفة العصور الوسطى، ص ح). ويؤكد يوحنا بولس الثاني John Paul (1920 - 2005م)، وهذا الرأي حين رأى أن الحقيقة التي نحصلها عن طريق الفكر الفلسفي والحقيقة الصادرة عن الوحي لا تختلطان، وأن الوحدة لا تُغني عن الأخرى (بولس الثاني، 1998)، رسالة الإيمان والعقل، ص 4-6).

ولا يعد استخدام العقل أو المنطق هو وحده ما يميز بين الفكر الفلسفي والفكر الديني، ذلك أن الفكر الديني يستعين بالعقل والمنطق، إلا أن الإشكالية هنا تكمن في استخدامه لهذه الأدوات العقلية والمنطقية لإضافة أدلة لما يقدمه الإيمان على أنه مسلمات، أي أن المعارف الدينية سابقة لآتي العقل ليؤكداه. وإذا ما تعارض العقل مع الإيمان فإن المؤمن يُخضع العقل للإيمان، على عكس ما يحدث في الفكر الفلسفي الذي يقدم العقل على الإيمان، والمعارف العقلية على المعارف الدينية.

وقد تنبه لهذا الأمر الفلاسفة المسيحيون في القرون الوسطى فذهبوا إلى القول بأننا قد نقبل بالعقل قضية ما ونعتقد نقيضها بالإيمان (انظر كرم، 2016)، تاريخ الفلسفة الأوربية، ص 16-17)، وكانت الفلسفة بنظر بعضهم ومنهم توما الأكويني وسيلة لا بد منها للتعلم في فهم موضوعات الإيمان، وكان بعض فلاسفة المسلمين اعتقدوا أن العقل باعتباره خاص بالإنسان والإنسان مخلوق من الله، والوحي من الله فيصبح محالاً أن يتعارض، وأن الأنبياء والفلاسفة ينهلون من مشكاة واحدة.

ولقد كان بين الفلسفة والدين تاريخ طويل من التفاعل، فتأثير الفلسفة على مفاهيم الدين يبدو جلياً سواء في المسيحية أو في الإسلام، فالقديس أوغسطين على سبيل المثال صاغ

فُدر لها الانتصار أن تخرج بالمسيحية عن الصورة التي جاءت بها (أنظر، فراج، 1969)، معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى، ص15-18). ولقد تشكلت فلسفة مسيحية في القرن الثاني الميلادي حمل لواءها فلاسفة مسيحيون من أتباع مذهب أفلاطون أمثال ترتليانوس القرطاجي Tertullianus (ت:230م)، وتشكلت بعد ذلك بفعل المزج بين المسيحية والتيارات أو المدارس الفلسفية اتجاهات مختلفة داخل المسيحية.

وبقي الحال كذلك حتى القرن الرابع الميلادي، إذ أصبحت المسيحية دين الدولة الرومانية، وعندها بات الصراع يحتد داخلياً بين الفرق المسيحية من آريوسية ونسطورية وملكانية ويعقوبية (فراج، 1969) معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى، ص4-5). حتى ظهر أوغسطين الذي تتقل بين مختلف المذاهب الفلسفية والأديان الوثنية، حتى اعتنق المسيحية وقدم منهجه القائم على التفاعل والتكامل بين العقل والإيمان. وهذا يعبر عن الحالة الحقيقية لطبيعة هذه العلاقة، فقد أصبح من المسلم به أن التعقل ضروري ضرورة الإيمان نفسه (بدوي، 1962، فلسفة العصور الوسطى، ص ز).

ويتضح لنا مما سبق، أنّ العلاقة بين العقل والإيمان هي علاقة تبادلية وتفاعلية في ذات الإنسان، كما أنها علاقة متجذرة في وعيه وسلوكه وهو ما يتجلى من خلال دراسة السلوك الإنساني عبر الحضارات ومختلف المجتمعات، وكذلك هذا ما يؤكد النص المقدس في المسيحية والإسلام، وهذا الترابط لا يجب إهماله وإنما علينا أن نسخره لما فيه خير الإنسان وسعادته باعتبارهما يتكاملان ويسهمان في زيادة وعي وثبات الإيمان كما يسهمان في التأكيد على ضرورة الأعمال العقلية ومدى أهميته.

ابن المنظور، جمال الدين، (1993)، *لسان العرب*، ط3، بيروت، دار صادر.  
سلمان، البدور، (2006)، *العقل والفعل في الفلسفة الإسلامية*، عمان، دار الشروق.  
الجرجاني، الشريف، (1983)، *التعريفات*، بيروت، دار الكتب العلمية.  
المحاسبي، الحارث بن اسد، (1971)، *العقل وفهم القرآن*، ط1، عمان، دار الفكر.

المقام هو بيان مدى تأثير دور العقل والمحورية دوره في نشأة علم الكلام ومناقشة المسائل الكلامية.

وساهمت هذه المسائل في خلق تساؤلات جديدة تبحث في طبيعة العلاقة بين ما هو إلهي، وما هو إنساني، والعلاقة بين المشيئة الإلهية، وإرادة الانسان، وبهذا بات لقضايا اللاهوت بعد زمني، ففي الطريق نحو تقديم ثوابت الإيمان الإسلامي، بنى المسلمون بيتهم الداخلي وناقشوا النص المقدس وقاد هذا للحديث عن العقل والنقل سواء في الإسلام أو المسيحية، حقاً إن الباحث في جدلية اللاهوت وعلم الكلام لا مناص أمامه إلا في إعمال العقل بشكل دائم في النقل الذي لا يدرك دون العقل وما ينتج عن هذا الإعمال من انعكاس عملي على الواقع الإنساني والحضاري والذي يجب أن يتناسب مع معطيات الواقع الذي يُقدم فيه. وفي خضم البحث في كل هذه المسائل، وعلى الرغم من اختلاف الفرق بحسب اختلاف الآراء ألا أن الهم الأكبر كان يصبو نحو الحفاظ على ثلاثة ثوابت مترابطة هي:

أولاً: اثبات التنزيه.

ثانياً: إن تعدد الصفات الإلهية لا يؤدي إلى تكثر في الذات الإلهية.

ثالثاً: عدم الوقوع في الشرك. (البدور، 2006)، *العقل والفعل في الفلسفة الإسلامية*، ص12

وبالمثل في القرن الثاني الميلادي، واجهت المسيحية عدة تحديات على رأسها وأهمها كان ضرورة مواجهة التحديات الخارجية والداخلية، وأما الخارجية فتتمثل أن المسيحية تحاول الانتشار في مجتمع وثني في ظل استبداد السلطة الحاكمة، وأما الداخلي فهو سعي المسيحية لمواجهة الشيع داخل الكنيسة والتي كان يمكن، لو

## المصادر والمراجع

المراجع العربية:

ابادي، الفيروز، (1996)، *بصائر نوي التمييز في لفائف الكتاب العزيز*، القاهرة، لمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.  
إبراهيم، زكريا، (1971)، *مشكلة الفلسفة*، القاهرة، مكتبة مصر.  
ابن تيمية، أبو العباس، (1995)، *بغية المرئاد*، ط3، السعودية، مكتبة العلوم والحكم.  
ابن سيده، أبو الحسن، (1996)، *المخصص*، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

فريزر، جيمس، (2014)، *الغصن الذهبي*، ترجمة: نايف الخوص، ط1، دمشق، دار الفرقد.  
 كرم، يوسف، (2016)، *تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط*، القاهرة، المؤسسة المصرية للطبع والنشر والتوزيع.  
 ميد، هنتر، (1975)، *الفلسفة أنواعها ومشكلاتها*، القاهرة، دار النهضة.

اليازجي، كمال، (1984)، *يوحنا الدمشقي آراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام*، بيروت، منشورات النور.  
 بدوي، عبد الرحمن، (1962)، *فلسفة العصور الوسطى*، القاهرة، مكتبة النهضة.  
 فراج، عبده، (1969)، *معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى*، ط1، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية.  
 فرانسيس، البابا، (1998)، *رسالة الإيمان والعقل*.

## References:

### Arabic References:

Abadi, Al-Fayrouz, (1996), Insights of Discerning People in the Scrolls of the Dear Book, Cairo, for the Supreme Council of Islamic Affairs.  
 Al-Jarjani, Al-Sharif, (1983), definitions, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.  
 Al-Mohasibi, Al-Harith Bin Asad, (1971), Mind and Understanding the Qur'an, 1<sup>st</sup> Edition, Amman, Dar Al-Fikr.  
 Al-Yazji, Kamal, (1984), Youhanna Al-Dimashqi, His Theological Views and Issues of theology, Beirut, Al-Nour Publications.  
 Badawi, Abd Al-Rahman, (1962), Medieval Philosophy, Cairo, Al-Nahda Library.  
 Farrag, Abdo, (1969), Milestones of Philosophical Thought in the Middle Ages, 1<sup>st</sup> Edition, Cairo, The Anglo-Egyptian Library.  
 Francis, AL baba, (1998), A Message of Faith and Reason.  
 Fraser, James, (2014), The Golden Branch, translated by:

Naif Al-Khous, Edition 1, Damascus, Dar Al-Farqad.  
 Ibn al-Mandour, Jamal al-Din, (1993), Lisan al-Arab, 3rd Edition, Beirut, Dar Sader.  
 Ibn Sidah, Abu Al-Hassan, (1996), Al-Mohassad, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.  
 Ibn Taymiyyah, Abu al-Abbas, (1995), Bugayyat al-Murtad, 3rd Edition, Saudi Arabia, Science and Governance Library.  
 Ibrahim, Zakaria, (1971), The problem of philosophy, Cairo, Egypt Library.  
 Karam, Youssef, (2016), History of European Philosophy in the Medieval Age, Cairo, Egyptian Foundation for Printing, Publishing and Distribution.  
 Mead, Hunter, (1975), Philosophy: Its Types and Problems, Cairo, Dar Al-Nahda.  
 Salman, Al-Budoor, (2006), Mind and Action in Islamic Philosophy, Amman, Sunrise House.

### المراجع الأجنبية:

Barbotin, Edmond, *Faith for today*, translated by Matthew O'connell, maryknoll, new York, 1974.

Pesch, Tilmann, *Christian philosophy of life*, translated by M. C .M'laren, herder book, Britain, 1900.

## **Dialectic Relationship between Faith and Mind**

*Rami Abu Nafaa and Salman Al-Bdour\**

### **ABSTRACT**

This research tries to show the dialectic relationship between faith and mind through the clarification of the structural relationship, taking into consideration three dimensions: The human being, holy texts and the philosophy of religion. The researchers show that man is the only being who practices the action of faith and the action of reasoning. Faith and mind have always been linked to each other within the human domain. This emphasized the interrelation between the judgment that is based on faith and that is based on mind right from the outset of the human history. It also emphasize that this interrelation has passed from primitive levels into developed approaches due to the accumulation of the human experiences in different civilizations and vended with the form we see now. The research deals with the Christian and Islamic texts where the researchers show how these texts urged for the use of mind and its importance to human beings. As a result, all believers are invited to acknowledge the importance of the use of mind, and its effect on faith. In the domain of the philosophy of religion, we show although philosophy is based on mind activity and religion is based on faith, the high level of interaction between faith and mind is important in this field of knowledge, and as a result the Authors tried to pass over the traditional understanding and the prejudice of the discursive knowledge and knowledge based on faith and to find way of interpretation.

**Keywords:** Mind, Faith, Man

---

\*Department of philosophy, The University of Jordan.  
Received on 31/10/2018 and Accepted for Publication on 25/4/2019.